اولاً : الاتجاهات الاصلاحية في بلاد فارس قبيل الاعلان عن قيام دولة ايران الحديثة

الحكم القاجاري لبلاد فارس وبوادر التحديث الاولى فيها 1796-1925

اولاً: اصولهم وجذورهم واول ملوكهم:

القاجار وهي قبيلة تركمانية تركية الاصل لأنها من اتراك "الاوغوز" تنسب الى قاجار نويان بن سرتق نويان, وهو احد جنود القائد المغولي هولاكو, نزحت هذه القبيلة من مساكنها الاصلية في اسيا الوسطى الى الشرق الاوسط اواخر القرن الرابع عشر الميلادي ولتستقر في اقليمي اذربيجان ومازندران قبل ان يقوم مؤسسها وباني مجدها واول ملوكها آغا محمد خان بجعل السلطة والحكم لبلاد فارس بيدها.

لم تظهر قبيلة القاجار على المسرح السياسي لبلاد فارس الا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين , وذلك عندما كانت تمد الدولة الصفوية بالجند , وهي احدى القبائل القزل باش السبع التي وقفت الى جانب الشاه اسماعيل مؤسس الدولة الصفوية. وقد لاحظ الشاه عباس الصفوي "1588-1629" تزايد قوتها الامر الذي دفعه لأن يقسمها الى ثلاثة اقسام ويسكنهم في اقاليم جورجيا واستراباد ومازندران لحماية الحدود الايرانية في المناطق الشمالية والشرقية من البلاد.

تراجعت قوة القاجار في عهد نادر شاه "1736-1747" لكنها سرعان ما برزت مرة اخرى على المشهد السياسي لبلاد فارس بعد وفاته عام 1747, ففي هذا العام كان زعيم القبيلة "محمد حسن قاجار" قد استغل وفاه نادر شاه واعلن استقلاله في الاقاليم "المقاطعات الشمالية" بما فيها ذلك اقليم اذربيجان ,لكن لم يستطع الصمود امام قوة الزنديين بقيادة كريم خان الزند "1750-1779" فتراجع الى مازندران التي قتل فيها عام 1758 على يد احد احد زعمار القاجار الذي انضم وتحالف مع كريم خان الزند ضده, عند ذلك وجد القاجار زعيماً لهم في شخص آغا محمد خان الذي تميز بالذكاء ,والشجاعة ,والحنكة السياسية التي أكتسبها من بلاط الزنديين ,يوم عاش رهينة في بلاط كريم خان الذي احسن وفادته وقدر ذكائه فكان يستشيره في الكثير من امور الدولة ,وما ان توفى كريم خان حتى استغل آغا محمد خان الامر لصالحه وهرب من البلاط الزنديين في شيراز الى مازندران حيث تقطن قبيلته التي بدء بجمعها وتوحيدها مستغلاً حالة الفوضى التي دبت في الاقاليم الاخرى بسبب الصراع بين الامراء الزنديين على السلطة, اذ تمكن من السيطرة على اقليم جرجان وكيلان كما خضعت لسلطانه جميع الاقاليم الشمالية قبل ان يتمكن عام من انهاء حكم الزنديين بأنتصاره على اخر ملوكهم لطيف خان عام 1794,اذ شكل هذا الانتصار نهاية حكم الزنديين وبداية حكم القاجاريين عام 1796 عندما لقب آغا محمد خان نفسه رسمياً بالملك او الشاه وكان اول اجراءاته في سياق تطوير نظام الحكم نقل عاصمة دولتهم من شيراز الى طهران لعدة اسباب منها ان طهران تقع في مناطق غنية بالموارد الطبيعية, قرب طهران من الحدود الشمالية شرقية والشمالية غربية مركز تهديد روسيا القيصرية وبذلك يستطيع القاجاريين التصدي لهم بسرعه. بعد طهران عن الاقاليم الجنوبية التي كانت بؤراً للتنازع بين القبائل الطامعة بالسلطة ,قرب طهران من مركز تجمع قبائل القاجار وابرزها قبيلة جورجان.

ثانياً: حركة الاصلاح في بلاد فارس نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

وبوادر النهضة والتحديث 1796-1906:

مرحلة الاولى: الاستكشاف والاقتباس والتقليد 1796-1878

كان جل اهتمام اول ملوك القاجار الشاه آغا محمد منصباً على امرين تحقيق الاستباب الداخلية لدولته وتطوير الجيش لمواجهة التهديد الخارجي لها ,ولاسيما انه كان يطمح بتأسيس امبراطورية واسعة تفوق مساحتها ونفوذها قوة ونفوذ الدولة الصفوية ,فأسس جيشاً بلغ تعداده (40000) جندي. وفي اطار استتباب الامن داخلياً استعاد جورجيا من حكم هيراقل الثاني قيصر جورجيا الذي كان يتعاون مع روسيا ضده ,وذلك عام 1796, ثم توجه الى خراسان التي كانت تحت حكم الاتراك الاوزبكيين , عند ذلك استغلت كاترينا الثانية التي كانت تحكم روسيا القيصرية انشغاله بخراسان ولتمنح اخيه المبعد في بلاطها "سلطان ايران" ولترسل قواتها الى ايران التي سيطرة على اقليم دربند وباكو وهددت اذربيجان معرضةً دولة القاجاريين لخطر السقوط وانهاء حكمهم ,الا ان هذا الخطر زال بموت كاترينا وانتقال الحكم الى ابنها بافل الاول الذي انتج سياسة سلمية تصالحيه مع القاجار وتحرك بجيشه لفك الحصار عن اذربيجان الا ان الشاه اغتيل في ظروف غامضة انذاك. فنصب ابن اخيه فتح علي نفسه شاهً خلفاً لعمه عام 1798 بأسم "فتح علي شاه" , الا ان هذا الاخير لم يكن يمتلك ذكاء عمه ولا حنكته ولا حزمه ولا جرأته , ورغم ذلك تمتعت ايران خلال مدة حكمه التي امتدت من 1798-1834 بنوع من الاستقلال والسلام الداخلي والخارجي.

فخارجياً بدء بالاتصال بالدول الاوربية ولاسيما فرنسا وليعقد مع امبراطورها عهد نابليون بونابرت. معاهدة فنكنشتاين عام 1807 اذ توقع الاخير ان تفتح هذه المعاهدة امام فرنسا الطريق نحو غزو الهند براً , مقابل ان تمد القاجار وجيشهم بالاسلحة وارسال البعثات العسكرية لتدريب الجيش القاجاري لتقف بوجه تهديدات روسيا القيصرية التي كانت قد سيطرت على جورجيا عام 1801, الا ان هذه المعاهدة ولدت ميتة فزالت اهميتها بعد توقيع فرنسا اتفاقيه تحالف مع روسيا القيصرية عرفت بمعاهدة كلستان عام 1813 اعترفت بموجبها للأخيرة بامتلاك جورجيا.

بعد ذلك دخل بحرب مع روسيا القيصرية عام 1826 , بدأها الجيش القاجاري بسلسلة من لانتصارات اعقبها تلقيه سلسلة من الهزائم انتهت بسيطرة روسيا على تبريز واجبار الدولة القاجارية على توقيع اتفاقية تركمان-جاي عام 1828, التي نصت على تنازلها على اقيمي اريوان ونخجوان لروسيا , وحق ابحار سفن الاخيرة في بحر قزوين ,كما اعطت المعاهدة لروسيا العديد من الحقوق والامتيازات الاقتصادية والجمركية في ايران. داخلياً شكلت الهزيمة جرحاً عميقاً لدى القاجاريين وحكامهم، فحفزت ولي العهد وقائد الجيش المعروف ب(نائب السلطنة) وهو عباس ميرزا وهو الابن الثالث للشاه فتح علي وكان ولي العهد وحاكم اذربيجان وواحداً من ابرز الساسة طيلة العهد القاجاري ,اذ كان مثقفاً ومفكراً من الطراز الرفيع وبسبب ما لديه من اتجاهات فكرية تحديثيه ,وهذا ما دفعه للتفكير بجدية عن الاسباب التي ادت انحطاط بلاد فارس فكرياً وتدهورها عسكرياً. فبدأ بالبحث عن السبل والادوات الكفيلة للنهوض بالمجتمع واصلاح حال الأمة، فأستغل الموقع الجغرافي لبلاد فارس وارتباطها بحدود مشتركة مع كل العثمانية وروسيا القيصرية وقارة اوروبا من اجل تحديثها وتطويرها فكان هو اول من بعثه من الباحثين والمفكرين للدراسة والبحث في لندن وذلك عام 1830 , كما ارسل الطلبة الاوائل الى اوربا (بريطانيا- فرنسا) لدراسة العلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء والعلوم العسكرية وصناعة

الاسلحة والعلوم الهندسية والطب واللغات ,كما اهتم بالثقافة والادب والفنون وشجع الطباعة والترجمة.

اولى نائب السلطنة اهتماماً خاصاً بالجيش بهدف زيادة كفاءته وتطوير مهارات , ففي الوقت الذي كان فيه تجنيد العسكر في الجيش القاجاري على تشكيل من الحرس الخاص ,وجيش غير مدرب يجمع من افراد القبائل القاجاريه عند الحاجة , عمل عباس ميرزا على تشكيل جيش منظم قوامه (60000) على اكلة الجيوش روسيا القيصرية والامبراطورية العثمانية، وفي الوقت الذي بدء يزود الجيش بالأسلحة الحديثة ولاسيما المدافع المتحركة لزيادة قوته, استقدم ضباط من فرنسا وبريطانيا وبقية دول اوربا لتدريب الجند وتأهيلهم وتطوير قدراتهم القتالية ، وفي عهده تميز العسكر بزي رسمي كان مقتبس نوعاً ما من الازياء العسكرية للجيشين الروسي والعثماني , ولاجل امداد الجيش بالأسلحة والمعدات العسكرية بنى عباس ميرزا مصنعاً للأسلحة (البنادق والمدفعية) وانشأ مكتباً خاصاً لترجمة الكتب والمؤلفات العسكرية والهندسية الاوربية لغرض الاستفادة منها في زيادة قوة الجيش القاجاري. اثارت اصلاحاته افكاره في تطوير الجيش ردود افعال متباينة من قبل اعضاء البلاط القاجاري الذين عابوا على الملابس وعدوها بمثابة " ارتداء المؤمنين لباس الكفار". لكنه لم يهتم لذلك واصر على مواصلة اصلاحاته وتحديثاته في بنية الدولة القاجارية , فعمد الى تخفيض رواتب موظفي البلاط ,وكذلك خفض نفقات البلاط التي كانت تنفق في حياة البذخ والترف الى حد الاسراف .

وفي ذات السياق كان عباس ميرزا قد أوفد عدد كبير من الضباط والمفكرين والمثقفين وعددهم (50) للدراسة في لندن عام 1831, وكان احدهم (ميرزا صالح شيرازي)، وهو احد مفكري ايران في العهد القاجاري , اذ كان موظفاً في المحكمة العليا. الف العديد من الكتب باللغة الفارسية ,وعندما ارسل الى اوربا وبقي فيها مدة اربع سنوات ضمن رحلات التحديث والتطوير في عهد عباس ميرزا ,وما ان عاد الف كتاب باللغة الفارسية اسما (سفرنامة) تحدث فيه عن رحلته الى اوربا فبين مفاهيمه وافكاره انطباعاته عن الحياة الغربية في لندن، وسجل الكثير من التفاصيل والمفردات عن التقدم الاوروبي ونظام الحكم في بريطانيا, فأسهم هذا الكتاب بإشاعة الأفكار والمعارف البريطانية في البلاط القاجاري وبين اوساط النخبة الحاكمة فتحدثوا عن انطباعاتهم ودهشتهم من المعارف والتمدن الغربي، اذ وفر لهم ولي العهد فرصة مناسبة لإبداء آرائهم وعينهم في مناصب تساعدهم على نشروا وتطبيق ما تعلموه والتمس عباس ميرزا مختلف السبل للإنفتاح على المعارف والفنون الاوروبية، فنشر في الصحافة الاوروبية بياناٍ سنة 1832 يتضمن دعوة لكل من يرغب من "الاوربيين في السكن في ايران وعاصمتها تبريز ... وبدلاً من ان يذهب الاوروبيون الى افريقيا وقيرغيستان وداغستان، بوسعهم القدوم الى ايران والعيش فيها" ليكتشف الايرانيون من خلالهم الحضارة الغربية وتكفلت الحكومة بحمايتهم، ومنحهم حرية دينية في ممارسة شعائرهم، واعفائهم من الضرائب وكانت هذه المبادرات عرضة للنقد والتشكيك والسخرية، حتى وصف احد الكتاب حينذاك الطلاب المبعوثين الى اوروبا، متهكما بأنهم (ديوك رومية ايرانية).ومثلما اهتم عباس ميرزا بتحديث الجيش عمل كذلك على تأسيس مطبعة حجرية في تبريز، وأصدر بالتعاون مع ميرزا صالح شيرازي اول صحيفة في ايران سنة1834 بإسم "كاغد اخبار" أي ورقة الاخبار وتشجيع الترجمة الى الفارسية، واصلاح الادارة. ودعم نزعة التحديث لعباس ميرزا عدد من وزراء البلاط القاجاري ومنهم ابو القاسم عيسى الذي بدء في

محاربة الفساد محاولاً تطهير البلاط الملكي، لكن ولي العهد ميرزا عباس كان قد دفع حياته ثمنا لذلك، فقتل بأمر من ابنه محمد شاه القاجاري الذي خلف فتح علي شاه بالحكم.

بتولي عرش القاجار من قبل محمد شاه 1834-1848, كادت شعلة النهضة والتحديث التي بدأها عباس ميرزا ان تنطفيء وذلك لان محمد شاه كان على النقيض من والده ضعيف الارادة ,ذو عقلية رجعيه خرافية لا يهتم بالتطوير ولا التحديث وذلك بسبب قله اطلاعه ومعرفته , لكن الامور تغيرت بفضل حنكة ومقدرة وحكمة الوزير المقتدر ميرزا ابو القاسم قائمقام الفراهاني ,الذي قلده الشاه محمد اعمال الصدارة العظمى وفاءً منه لمقام عباس ميرزا ومكانته لعب الميرزا ابو القاسم دوراً في نشر افكاره والسير على منواله في تحديث الدولة القاجارية , الا ان حركته اصطدت ببروز الحركات السياسية المذهبية التي جاءت رداً على سياسة التشبه بالغرب ومن هذه الحركات هي (الحركة البابية: وهي دعوة ظهرت في ايران على يد علي محمد بن محمد رضا الشيرازي المولود عام 1821 و الملقب بـ"الباب" حيث أن لقب الباب يعني في المعتقدات الشيعية الوسيط بين العبد و الله، وهو الوليّ المقدس من نبي أو إمام. والدعوة البابية بصفة عامة مشتقة في الأصل من المعتقدات الشيعية , لكنها حرفت لأهداف وغايات سياسية) والحركة الاسماعيلية وهي إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الاثنى عشرية. يشترك الإسماعيلية مع الاثنا عشرية في مفهوم الإمامة، إلا أن الانشقاق وقع بينهم وبين باقي فرق الشيعة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق(عليه السلام) ، إذ رأى فريق من جمهور الشيعة أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي أوصى له إسماعيل المبارك، بينما رأى فريق أخر أن الإمام هو أخوه موسى الكاظم لثبوت موت إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك. ظهرت في ايران على يد محمد بن اسماعيل عام 1842.

ومرةً اخرى عرقلت عملية التحديث والنهضة في البلاط القاجاري بمقتل الوزير ابو القاسم، لولا جهود الميرزا محمد تقي خان الفراهاني الذي كان رئيس وزراء(الصدر الاعظم) لناصر الدين شاه القاجاري 1848-1896 ابن محمد شاه الذي تولى العرش خلفاً لابيه عام 1848،وقد اختاره ناصر الدين شاه تقديراً لخدماته التي قدمها له لتسهيل توليه العرش لان عمر الشاه كان لا يتجاوز الـ(17) عاماً , اذ منحه الشاه صلاحيات وسلطات واسعة في اداره البلاد وتوجيهها مكنته من تحقيق ما كان يرنوا اليه . وعلى الرغم من ان الميرزا محمد تقي كان ينحدر من اسرة فقيرة الا ان الشاه اختاره لهذا المنصب لجدارته لذلك وفي يوم تنصيبه لقبه ب"أمير نظام" او ب(أمير كبير) او (اتابك الاعظم) كان الميرزا محمد تقي من ابرز رجال الفكر والتحديث وقد اطلق عليه اسم "مصدق القرن التاسع عشر" و"مدحت باشا ايران".

وكان امير كبير قد تعلم في بلاط ولي العهد عباس ميرزا في اذربيجان على يد مجموعة من الفقهاء ورجال العلم، قبل ان يتدرج في سلك السياسة شاغلاً العديد من المناصب الرفيعة ,اذ ارسله ولي العهد حاكم اذربيجان عباس ميرزا الى بطرسبورغ عاصمة روسيا القيصرية للاعتذار عن مقتل السفير الروسي غريبا يدوف , بعدها عين سفيراً لبلاده في الدولة العثمانية، حيث مكث فيها لمدة اربع سنوات. ولم تكن رحلاته واسفار ومناصبه التي تبوئها مجرد سفرات دبلوماسية ومناصب سياسية بقدر م اكانت رحلاته تنويرية تطويرية لأنها تركت لدية انطباعات ورغبه في تحقيق اصلاحات واسعة كما اطلع على الاصلاحات و"التنظيمات" الحديثة في اسطنبول، وبعد ان تسلم امير كبير رئاسة الوزراء في الدولة القاجارية اعد برنامجاً اصلاحياً

زاخراً بالحلول والمعالجات لكافة النواحي في ايران ولاسيما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . اذ بدء برنامجه الاصلاحي ادارياً ومالياً واضعاً سلماً للرواتب حدد في راتب الشاه الوزراء والاعيان ورجالات البلاط و الموظفين, ثم قلل نفقات البلاط ولاسيما المصروفات الباهظة (نفقات الترف والرفاهية) ولزيادة واردات الدول اصدر اتابك الاعظم امراً بجباية الضرائب من جمية المواطنين بدءاً من الامير نفسه الى اصغر موظف في الدولة , وحدد نفقات الشاه ب(10) عشرة الاق تومان شهرياً.

عسكرياً: قام امير الكبير بتنظيم الجيش وتدريبه ليكون جاهزاً ومجهزاً وعلى استعداد لخوض الحرب للدفاع عن البلاد , ففي عام 1849 شرع قانون (التجنيد الالزامي) الذي شمل كل ايراني يبلغ من العمر(20) عاماً , ويعفى من الخدة الالزامية من بلغ سن الاربعين عاماً. الا انه الغى الانظمة الانكليزية والفرنسية المتبعة في تدريب الجيش القاجاري ,ووضع نظاماً جديداً ,وانشاء (15) مصنعاً لتمويل الجيش بما يحتاجه من اسلحة من خفيفة كالبنادق والثقيلة كالمدافع وملابس (زي رسمي) , كما انشأ مدارس لتخريج الضباط المتمرسين لتدريب الجيش بدلاً من الضباط الاجانب ,

ثقافياً :كان امير الكبير قد انشأ (دار الفنون) عام 1851 اي بيت المعرفة , وهي أول مدرسة خارج اطار المدارس الدينية في ايران، وفكرتها مستقاة من" دار الفنون" في اسطنبول"، التي أُنشئت قبلها بثلاثة اعوام. وتمحور التعليم فيها على: الطب والتشريح، والهندسة، واللغة الاجنبية، وجاء معظم اساتذتها من بلدان اخرى، مثل: فرنسا، والنمسا. وغيرهما من البلدان الغربية. استوعبت المدرسة 114 تلميذا في مختلف مراحلها، واصل جماعة من طلبتها تعليمهم العالي في اوروبا. كما اصدر امير كبير الجريدة الرسمية لايران " روزنامه رسمي ايران" وهي جريدة اسبوعية صدر عددها الاول في شباط عام 1851 , وبمرو الوقت تحول اسمها الى "وقايع اتفاقيه" وهي جريدة تعنى بتسجيل الحوادث بعد مدة وجيزة، ثم امسى اسمها فيما بعد "روزنامه دولت عليه ايران" اي "جريدة دولة ايران العليا"، وظلت تدار هذه الصحف بواسطة فريق من الموظفين الكبار في الحكومة، كما اهتمت الصحيفة بترجمة المقالات العلمية، وباتت تصدر بالفارسية والعربية والفرنسية. وكان لمقالاتها وما تنشره دوراً في تحقيق النهضة الايرانية. كما بنى امير الكبير اول مستشفى في ايران عرف بأسم (المستشفى الحكومي) وقد اصبحت فيما بعد اكبر واهم مستشفى في ايران واختير لها اكفأ الاطباء الاجانب وامهرهم.

اقتصادياً: اولى امير الكبير اهتماماً كبيراً بالنواحي الاقتصادية فبدء بتنمية الصناعة الايرانية ,وشجع الزراعة وطورها فنفذ عام 1852 السياسة الاقتصادية الجديدة التي اسماها (سياسة حماية الاقتصاد الوطني) ومن خلالها وضع تعريفة كمركية على البضائع المستوردة, وحاول تقليص واردت الدولة من السلع الاجنبية وشجع الصناعة الوطنية لزيادة الصادرات وزيادة اجمالي الناتج القومي. كذلك انشأ ودوائر البريد ,كما تطور خطوط النقل والمواصلات.

وبما ان اصلاحات امير الكبير قد اضرت بمصالح كبار رجالات البلاط القاجاري من السياسيين , وازعجت محاولاته الاصلاحية التحديثية الجادة في تأسيس دولة عصرية في ايران قائمة على اساس القانون والعدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية , لذل اجتمع خصومه من رجالات البلاط والرجعيين وعلى رأسهم (الملكة الام مهد عليا) ضده وبذروا بذور القلق

والخوف في نفس الشاه ضده , اذ اقنعوه ان لصدر الاعظم بأفعاله هذه كأنما يسعى للسلطه ,وفسروا له ان اصلاحاته في المجال العسكري وتطوير الجيش كانت تصب في هذا التوجه واخبروه ان الجيش لم يعد يطع اوامر احد باستثنائه ,وقد استطاعت هذه الجهود ان تزرع سوء الظن في تفكير الشاه ضد امير الكبير لذا اعفاه من منصبه في تشرين الثاني عام 1851 قبل ان يتم اغتياله عام 1852. وعلى الرغم من مقتل امير الكبير وانحسار المشاريع النهضوية الاصلاحية في الدولة القاجارية , الا انه وضع اساساً رصيناً لنهضة شاملة وعامة بدأت بوادرها مطلع العشرين أذ ارسلت العديد من البعثات الى اوربا ودولها الغربية ولم يكن هدفهم الدراسة والتعليم، كما كان يفعل المبتعثون الى هنالك خلال العقدين الثالث والرابع من القرن التاسع عشر بل كان هدفهم وهاجسهم دائماً اكتشاف تلك الدول وتطورها على مختلف الصعد والانساق السياسية والادارية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية فضجوا بما هو جديد ومدهش، واهتموا بتدوين مشاهداتهم، ورصدوا الكثير من الاحداث، وكتبوا عن تقاليد وقيم شعوب تلك البلدان، ودرسوا ثقافاتهم ودونوا عن النظم السياسية والادارية والاقتصادية والمالية، فسجلوا ما تعرفوا عليه من علوم ومعارف وفنون، وأشاروا للمفاهيم والأفكار والآراء، لكل ما لفت انتباههم. لكن من المفيد ذكره او مما يؤخذ عليهم هو ان كتاباتهم و مذكراتهم غالباً ما جاءت على شكل انطباعات وملاحظات عاجلة، تقف عند السطح، ولا تدرك الجذور كما ان تلك الانطباعات غالباً ما اختزلت الغرب في بعد واحد، وتورطت في احكام سريعة، تدعو لقبول الغرب واستعارته كما هو، أو نبذه ومناهضته ورفض كل شئ ينتمي اليه. وبعد مقتل رئيس الوزراء امير كبير وتولي الميرزا آغا خان نوري 1852-1865 الملقب بـ(اعتماد الدوله) الذي كان محتلاً حاقداً عميلاً وضيعاً لبريطانيا من الطراز الاول فبدء بترجمة المخططات التي تركها امير الكبير ترجمه خاطئة ,كما ضيق هامش الحرية في الدولة القاجارية ، وانحسرت التقاليد الديموقراطية العلمية والتعليمية التي ارساها امير كبير فيها . اذ تراجعت حركة التحديث مشاريعها والمساعي الإصلاحية النهضوية المتنوعة التي قادها .

بعد وفاه اغا خان نوري دفع المنحى الاصلاحي لدى السلطان ناصر الدين شاه ان يبحث عن بديل لاتمام عملية الاصلاح التي بداها أمير كبير وأعاقها أغا خان نوري، فعثر على ميرزا حسين قزويني الملقب بـمشير الدولة 1868-1872، وبعدها لُقب بـ سبه سالار (أي القائد العام)، ولمدة سنتين كان هو الصدر الأعظم لناصر الدين شاه. كان هو ابن ميرزا نبي قزويني. وبعد دراسته المقدمات ودراسته فترة في دار الفنون ذهب إلى عدة مأموريات خارجية، وكان يجيد لغتي الفرنسية والإنجليزية. كان في فترة كونه الصدر الأعظم والمستشار لأمير كبير لمدة ثلاث سنين كان هو القائم بالأعمال الإيراني في بومباي، وبعد رجوعه من الهند أصبح قنصلا لايران في تبليسي، وفي السنوات الأخيرة لصدارة ميرزا اغا خان نوري أصبح وزيرا منتخباً لايران في إسطنبول وكان وزيرا منتخبا من إيران في إسطنبول لمدة عشر سنوات وبعدها ترقى لمرتبة سفير إيران الأكبر وبقي هناك لسنتين أخرى، وكان مستشارا قانونيا وأقرب الناس لسبه سالار حاج قربان هندويي املي. وقضى مشير الدولة دورة دامت 20 عاما خارج إيران. في هذه الفترة قضى 12 سنة من اقامته في إسطنبول حيث رأى عن قرب الثورات المنادية بالدستور والبحث في الدستور الاوربي والذي كان لها صدى واسع عند العثمانيين وكان يلاحظ نشاط المفكرين العثمانيين للحصول على القانون الأساسي وبناء مجلس لصيانة الدستور. وجهز لسفر ناصر الدين شاه لزيارة العتبات المقدسة بالتنسيق مع العثمانيين وبأخذ الأعتماد منه بدأ بالنشاط لإيجاد

اصلاحات في شؤون المملكة. كما عرّف الشاه في هذا السفر على أصول الحكومة في الغرب وأسسها الجديدة لبناء الحكم وأشار ليرى المهاجرين الإيرانين الذين فروا من بطش القاجاريين إلى العراق، وفي نهاية سفر الشاه الى العراق زيارة العتبات المقدسة، احضر ميرزا حسن خان معه إلى طهران وعينه وزيرا للعدل والأوقاف والتوظيف ـ

وصل بعد مدة وجيزة وبأمر من ناصر الدين شاه إلى مقام الصدر الأعظم فبدا المثابرة على الاصلاح وحاول جاهداً حتى يرقى بالدولة والحكومة الى مصاف الدولة الاوربية المتقدمة فبدء عمله بتأسيس تسع وزارات وتشيد السكة الحديدية والمواصلات وكما طلب من الشاه ناصر الدين السفر إلى أوروبا ليتحمس بزيارته تلك لتطوير وتحديث بلاد فارس كما هو الوضع في أوروبا انذاك.

قام الصدر الاعظم سبهسالار خلال مدة حكمه بعدة اصلاحات منها:

1- تأسيس دار الشورى الكبرى 2- تأسيس إدارة البريد ونشر الطوابع البريدية 3- السعي في تبسيط طرق المخاطبات الحكومية 4- التعزيز والمساندة لدار الفنون 5- إنشاء مدرسة ومسجد سبهسالار 6- نشر الجرائد مثل أحداث العدالة والعسكرية ومريخ والوطن ومفكرة سنوية 7- توظيف مستشارين ومتخصصين نمساويين لإصلاح الأمور المالية في الحكومة واستثمار المعادن.

وليس هذا فحسب وفي عام 1872 أقنع ميرزا حسين خان الشاه ناصر الدين شاه أن يعقد معاهدة مع للبارون الانكليزي جوليوس دو رويتر، هذه المعاهدة كادت أن تكون عاملاً مهما لتطور إيران لانها تنص على ان يدفع البارون مبلغ (40) الف جنيه استرليني مقابل ان يقوم بالتنقيب عن المعادن واستخراجها في ايران, وان يقوم بربط بحر الخزر بالخليج العربي بسكك حديدية وإنشاء الترامواي (القطارات الداخلية) في المدن. وتأجير الجمارك له لمدة 70 سنة. ورغم ان الشاه ناصر الدين كان قد استلم مبلغ اربعين الف جنيه استرليني. الان ان المعارضون للصدر الاعظم واصلاحاته ولا سيما بعض رجالات البلاط القاجاري ورجال الدين الذين فقدوا أهم مخصصاتهم وامتيازاتهم، بعد ان أراد مساواتهم بكافة المواطنين امام القانون. حضروا إلى البلاط وسلموا الشاه ناصر الدين عريضة موثقة من المحكمة طلبوا فيها عزل الصدر الأعظم فنظر الملك لكثرة الاعتراضات والملاحظات الأخرى عندها وتحت ضغط الحاشية ورجال الدين طلب الشاه من الصدر الأعظم سبه سالار أن يستقيل وقَبِل استقالته. وأُعلن أن معاهدة رويتر ملغية أيضا. ـ

سبهسالار بعد استقالته 1872 من منصب الصدر الأعظم تسلم منصب والياً ولاية كيلان. وبعد فترة أصبح وزيراً للخارجية. وحاول مرة أخرى جاهداً أن يشجع الشاه بفكرة التحديث والتقدم والتطور للبلاد ولكنه لم يوفق لذلك، وفي نهاية المطاف أصبح والياً على خراسان. لحين وفاته عام 1878. بوفاته انتهت المرحلة الاولى من التحديث وهي مرحلة الاكتشاف والاقتباس والتقليد 1828-1878.

ثانياً :المرحلة الثانية وهي مرحلة مناهضة الاستبداد 1878-1906

المرحلة الثانية: مناهضة الإستبداد (1878-1906)

تشير هذه المرحلة الى النصف الثاني من حكم ناصر الدين شاه الى ثورة المشروطة في عام 1906. والتي سادت فيها الدعوة لتشريع دستور للدولة القاجارية ينظم عمل الحكومة والدولة بكل انساقها ومجالاتها، والاهتمام بتطوير وتحديث النظام الساسي والتنمية الاقتصادية والثقافية، والدعوة للخروج من نفق التخلف. فبرز خلال هذه المرحلة عدد من المفكرين الذين استلهام النظام السياسي الحديث في اوروبا، وضرورة الاستناد الى الشعب كمصدر لمشروعية السلطة، وشجبوا الاستبداد، وكافة اشكال احتكار السلطات، وعدم الفصل بينها. ولعلل في طليعتهم الميرزا يوسف خان التبريزي الملقب بمستشار الدولة (1823-1895) وهو أحد السياسيين المعروفين في العصر القاجاري، اذا كان وزيراً للثقافة ثم سفيرا للدولة القاجارية في الامبراطورية الروسية بعدها فرنسا. صاحب مقولة "ان الشعب هو المصدر الوحيد لمشروعية السلطة" وهو بذلك اول فارسي قاجاري يطالب بتدوين دستور وبالملكية دستورية، أو "سلطنة مشروطة" حسبما يقول فريدون آدميت. وقد ترجم اعلان حقوق الانسان الصادر عن الثورة الفرنسية 1791 الى الفارسية، وسعى الى دعم تلك الحقوق بما يؤيدها من القران والسنة النبوية. كما أصدر رسالة بعنوان كلمة واحدة " يك كلمه ". ويقصد بالكلمة الواحدة (القانون) وهو يرى انه السبيل الوحيد للنهوض والتقدم,

كما كان المفكر الاسلامي والناشط السياسي جمال الدين الافغاني(1838-1897) ودعواته الاصلاحية اصداء في بلاد فارس والدولة القاجارية خلال هذه المرحلة . ولد السيد جمال الدين الأفغاني في تشرين الاول عام 1838لأسرة أفغانية عريقة ينتهي نسبها إلى الامام الحسين بن علي (عليهما السلام) حسب ما يقال، في مدينة كابول الافغانية. وتعلم في بداية تلقيه العلم اللغتين العربية والفارسية، ودرس القرآن وشيئًا من العلوم الإسلامية، وعندما بلغ الثامنة عشرة أتم دراسته للعلوم، ثم سافر إلى الهند لدراسة بعض العلوم ، بعدها قصد الحجاز وهو في التاسعة عشرة لأداء فريضة الحج ، ثم رجع إلى أفغانستان حيث تقلد عدد من الوظائف الحكومية، وظل طوال حياته حريصًا على العلم والتعلم، فقد شرع في تعلم الفرنسية وهو كبير، وبذل كثيرًا من الجهد والتصميم حتى خطا خطوات جيدة في تعلمها.

وحينما وقع خلاف بين الأمراء الأفغان انحاز جمال الدين إلى محمد أعظم خان الذي كان بمثابة وزير دولة، وحدث صدام بينه وبين الإنجليز، فرحل جمال الدين عن أفغانستان سنة 1868م، ومر بالهند في طريقه إلى مصر حيث أقام بها مدة قصيرة تردد في أثنائها على الأزهر، وكان بيته مزارًا لكثير من الطلاب والدارسين خاصة السوريين. ثم سافر إلى "الأستانة" ، وذاعت شهرته وارتفعت منزلته، ولقيت دعوته بضرورة التعجيل بالإصلاح صدى طيبًا لدى العثمانيين، حتى قال المستر بلنت الإنجليزي:

"إن سعي القاجاريين في تحويل دولتهم إلى دستورية في بادئ الأمر قد ينسب إلى شيء من تأثير جمال الدين، فقد أقام في عاصمتهم يحاورهم ويخطب فيهم"

زار بلاد فارس وتردد عليها اعتباراً ايار عام 1886 فبدء من ميناء بوشهر قبل ان يزور ولايتي شيراز واصفهان بعدها بلغ طهران في ذات العام . لكن دعواته الاصلاحية التحديثية لم تلقى اصداء ولا ترحيب من قبل رجالات البلاط القاجاري. لانه دعى الى مناهضة استبداد السلطة، وتقويض مفاهيم وشعارات السلطات الشمولية المطلقة، وتزييف دعاوي السلاطين، وندد برجال

الدين الذين ينفرون الناس من الاسلام، وحث على تطوير النظام التعليمي في الحواضر العلمية التقليدية، والتخلص من الأساليب العقيمة في التعليم، وتحديث المقررات التعليمية المتعارفة. فعمدوا الى تحريض ناصر الدين شاه الذي ضاق به ذرعاً – فطلب منه مغادرة طهران في نيسان عام 1887 , فغادرها الى موسكو التي استقربها بضعة اشهر قبل ان يغادرها متجهاً الى سان بطرسبرغ ومنها سافر بروسيا(المانيا) لكنه ما لبث ان عاد الى طهران مرة اخرى عام 1890، بناءً على دعوة من ناصر الدين شاه، وبعد عدة أشهر تبدلت الأجواء في طهران وشعر الأفغاني خطر ناصر الدين عليه الذي وقع مرة اخرى تحت تأثير رجالات البلاط ، فطرد من طهران مرة اخرى في كانون الثاني 1891، حيث جرى تهجيره بطريقة شنيعة قاسية الى العراق وانتهى به المطاف في بغداد آذار 1891ومنها جهر صوته بفساد ناصر الدين شاه واستبداده، فسعى ناصر الدين شاه الى السلطان عبد الحميد كي لا يدعوه الى العاصمة العثمانية(الاستانه) لم يعبأ السلطان عبد الحميد ودعاه وطلب منه ان يساعده بمشروع «الجامعة الاسلامية»، التي هي احد مرتكزات مشروع الأفغاني التحديثي، فنزل على رغبة السلطان ووصل الاستانة عام 1891، وقطن فيها مرغماً تحت أعين السلطان .

اثناء ذلك حدثت في ايران ما يعرف بثورة التنباك أو ثورة التبغ (بالفارسية: نهضت تنباكو) هي ثورة قامت بعد سنة 1891 م، حين منح ناصر الدين شاه، حق بيع وشراء التبغ في إيران لصالح شركة بريطانية. كان نحو 20% من الإيرانيين يعملون في زراعة التبغ وانتاجه، وقد أدت الإتفاقية إلى احتكار البريطانيين لهذا قطاع. وصلت الأزمة ذروتها حين صدرت فتوى تُنسب إلى المرجع الشيعي محمد حسن الشيرازي سنة 1309 هـ / 1891 م حَرم فيها التنباك، جاء فيها: «استعمال التنباك والتوتون باي نحو كان بحكم محاربة امام الزمان عجل الله فرجه»

في العشرين من آذار سنة 1890 وقّع ناصر الدين شاه اثناء سفرته الثالثة إلى أروبا وإقامته في إنكلترا اتفاقاً لحصر تجارة التوتون والتنباك الإيراني لمدة 50 سنة بشركة إنكليزية يرأسها المايجور جيرالد تالبوت الذي كان من المقربين لرئيس الوزراء الإنكليزي آنذاك اللورد ساليزبوري. وحسب هذا الاتفاق سُحب حق البيع وشراء التوتون والتنباك والمنتوجات المرتبطة بها من أيدي الإيرانيين وأعطي لصالح انكلترا. في وقت الذي كان نحو 20% من الإيرانيين يعملون في قطاع التبغ.

عارض هذا الاتفاق علماء الدين وبعض من الوطنيين، حيث اعتبروه تهديدا لاستقلال بلادهم في المستقبل. وقد بذل هؤلاء العلماء جهودا كبيرة في سبيل إقناع الشاه لإلغاء الامتياز الممنوح لتلك الشركة الإنكليزية ولكن دون جدوى. فتوجه العلماء وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني نحو المرجع الكبير الميرزا محمد حسن الشيرازي الذي كان يقيم في سامراء وأوضحوا له الموضوع ليجدوا حلاً. آية الله محمد حسن الشيرازي الذي أرتبط اسمه بثورة التنباك بعد أن أصدر فتوى تحريم التنباك.قام آية الله الشيرازي في البداية بإرسال رسائل عديدة إلى الشاه يطالبه فيها بإلغاء الاتفاقية والكف عن مواصلة المشروع، لكن الشاه واجه هذه المطالب بالرفض والتعنت، فندما يئس الشيرازي من إقناعه بإلغائها، أصدر فتواه الشهيرة حَرّم فيها التنباك، والتي كان نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: اليوم استعمال التنباك والتوتون باي نحو كان بحكم محاربة امام الزمان عجل الله فرجه.»

فبعد أن أصدر آية الله محمد حسن الشيرازي فتوى حرمة استعمال التبغ التزم المسلمون في إيران بها وكسروا النارجيلات وكل آلة تستعمل للتدخين. كما أغلقت جميع محلات بيع التبغ والتنباك. أجبر الشاه أحد رجال علماء الدين بالتدخين في المسجد لإنهاء المقاطعة، ولكنه رفض ذلك، فأمر الشاه بنفيه من طهران. لكن ثار الناس وتجمعوا لامتناع من خروجه وأدى ذلك إلى صدام راح ضحيتهُ اثنين من رجال الدين في مظاهرة حاشدة. فبدأت الثورة بالتصاعد فاضطر الشاه على التراجع والغاء الامتياز الممنوح للشركة الإنكليزية. فبعد مفاوضة مع الشركة، تم الاتفاق علي إلغاء الامتياز مقابل دفع غرامة قدرها 500 ألف ليرة إلي الشركة.

تعتبر ثورة التنباك أول تعبئة عامة للشعب الإيراني ضد الدولة , وعلى رغم محدودية أهدافها لكنها تركت اثر كبير على ما اعقبها من وقائع واحداث. فمن أهم النتائج التي افرزتها الثورة كان عرض وزيادة الاقتدار السياسي لعلماء الدين. حيث أسهمت الثورة في بلورة الدور الخاص للمجتهدين والمراجع في الحركة الوطنية الإيرانية. كما وجد الإيرانيون بعد الثورة، الشجاعة الكافية لاتّخاذ مواقف مناهضة ضد الحكومة الوطنية أيضاً. وقد يعتقد إدوارد براون بان قضية فشل امتياز التبغ لعبت دورا مهما فعالا في الحركة الدستورية في إيران والتي تمخضت عن نجاح الإيرانيين في الحصول على الدستور في 5 آب عام 1906.